



سعيد الشراي



# درر نعاوض العقل والنقل

لأحمد بن تيميه

أ. د. محمد السيد الجليند

الدين وفروعه ، نقد منهج الفلاسفة والمتكلمين والصوفية في الإلهيات ، كما هاجم منطق أرسطو وبين تناقضه عن إفادة اليقين وإقامة البرهان وألف في ذلك كتابين من أهم ما جاء في هذا الموضوع وهما : الرد على المنطقيين ، ونقض المنطق . كان شجاعا في الحق متعصبا له ، وقف في وجه التتار وتقدم الصوفى لمحاربتهم في رمضان وأفتى بالنظر للمحاربين وأفطر إمامهم ، شغل نفسه بقضايا الإصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى فى عصره ولذلك فقد تعرض للسجن مرات كثيرة بسبب مواقفه من الحكام والصوفية ، دخل السجن سنة ٧٠٥ هـ بمرسوم السلطان بسبب هجومه على الصوفية ، وتكرر ذلك سنة ٧٠٧ هـ بالاسكندرية بمصر ، ثم تكرر سجنه سنة ٧٢٦ هـ وظل مسجوناً هذه المرة حتى مات فى سجنه سنة ٧٢٨ هـ ، له مؤلفات كثيرة فى العقيدة وعلم الكلام والتصوف ومقارنة الأديان ، وفى الرد على الصوفية والمتكلمين والنصارى .

١ المؤلف فى سطور هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المولود بحران سنة ٦٦١ هـ يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول المرفى ٢٢ يناير سنة ١٢٦٣ م . وكان مولده فى عصر انحار فيه التتار على البلاد الإسلامية ، فاضطر والده أن يهاجر بأسرته من حران إلى دمشق حيث استقر به المقام ومازال ابن تيمية فى سن السادسة من عمره ، كان أبوه عالماً وفقيهاً فرى ابنه على محبة العلم ومجالسة العلماء . حفظ القرآن الكريم فى سن الصبا ثم بدأ فى تحصيل علوم الحديث والتفسير والفقه وعلم الكلام وهو فى سن الشباب ، أعجب بذكائه وسرعة حفظه معاصروه . وكان يناظر الكبار ويخاورهم ويفهمهم منذ باكورة عمره ، جلس للإفتاء وهو فى التاسعة عشر من عمره وشرع فى التأليف من ذلك الوقت ، جلس مكان والده فى حلقة التدريس فأفتى دون تقييد بمذهب معين ثم شرع فى تفسير القرآن بمجلسه يوم الجمعة من كل أسبوع وانتصر لمذهب السلف فى قضايا أصول

( ) كنية دار العلوم — جامعة القاهرة .

## ٢ - كتاب درء تعارض العقل والنقل :

— موضوع الكتاب :

حرص المؤلف أن يبرز موضوع الكتاب في العنوان الذي اختاره له ، حيث أسماه « درء تعارض العقل والنقل » والكتاب كله جاء لمعالجة هذه المشكلة المزعومة وهي دعوى تعارض العقل مع النقل أو الشرع أو الدين ، وكانت هذه الدعوى قائمة في عصر ابن تيمية في مدارس فكرية متعددة جاء على رأسها المدرسة المشائية من فلاسفة الإسلام أمثال الفارابي وابن سينا وعند المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة ، ولقد سلك المؤلف جميع القائلين بهذه الدعوى في خيط واحد جامع بينهم واختار منهم أبرزهم وأكثرهم تحمسا لهذه الدعوى وهو فخر الدين الرازي الملقب بابن الخطيب كنموذج للمتكلمين ثم اختار من الفلاسفة ابن سينا ، وهذا الاختيار لم يمنع أن يضرب الأمثلة الكثيرة مستشهدا بأقوال ومواقف لغيرهم من المتكلمين والفلاسفة أمثال الغزالي وابن رشد والآمدی وغيرهم ، وكان المؤلف يبسط أقوال هؤلاء جميعا من كتبهم بدقة وأمانة ثم يبدأ في مناقشة هذه الأقوال بمنهج تحليلي تمثل في خطوات محددة من أبرزها ما يأتي :

١ - كان يبدأ منهجه في الحوار معهم بتحديد معنى المصطلح الفلسفي والكلامي عن طريق التحليل اللغوي للمصطلح وتوضيح المعنى الذي يعبر عنه في المجال الفلسفي ويقارن بين المضمون الفلسفي للكلمة ومعناها في اللغة العربية فيجد الخطأ

لازماً لكل من الفلاسفة والمتكلمين فيما ذهبوا إليه . لأن المصطلحات التي استعملوها فيها ما هو حق وفيها ما هو باطل ففى قبولها قبول لما فيها من باطل ، وفي رفضها رفض لما فيها من حق ، وهذه كله بسبب استعمال المصطلح المجمل بدون توضيح لمعناه . ولما بين المؤلف ما في المصطلح من معان التيس فيها الحق بالباطل يعود ليقول لمخاورة أن السبيل الأقوم في ذلك أن تستعمل الألفاظ الصريحة في دلالتها على المطلوب دون لبس وهي ألفاظ الكتاب والسنة نفيًا وإثباتًا ، لأن أكثر الألفاظ دلالة على مراد الله هو كلامه المنزل على رسوله ( صلى الله عليه وسلم ) ، تمثل ذلك الموقف في رفض استعمال ابن تيمية ألفاظ مثل الجسم ، الجهة ، الحيز ، التركيب ، الجوهر ، العرض . بالنسبة لله نفيًا أو إثباتًا لما فيها من لبس الحق بالباطل ، وفضل بدلاً منها استعمال ألفاظ القرآن الكريم ، فعل ذلك مع الرازي وابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد والآمدی .

٢ - في مرحلة أخرى يتعرض بالنقد والتمحيص للأدلة العقلية التي يتمسك بها الفلاسفة والمتكلمون ليعارضوا بها أدلة القرآن ، فيحلل الألفاظ والمصطلحات تحليلًا لغويًا ويقارن بين معنى المصطلح عند فلاسفة اليونان ومعناه في اللغة العربية التي نزل بها القرآن فيجد الفرق كبيراً ، ثم يوضح للمعارض أن الفاظ الفلاسفة ومصطلحاتهم قد التيس فيها الحق بالباطل ، وفي جواز إطلاقها على الله قبول لما فيها من

الباطل ، وفي رفضها كلية رفض لما فيها من بعض الحق وأن أقوم السبيل في ذلك هو الاعتصام بألفاظ القرآن الكريم . وفي كثير من الأحيان كان يجد المؤلف أن ما مع المتكلمين من أدلة نقلية ليس صحيحاً في متنه أو في إسناده وفي معظم الأحيان كان يجد فهمهم للدليل النقلى لاسند له من اللغة ولا من النقل عن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) .

٣- في مرحلة ثالثة يوضح لقارئه أنه من المستحيل أن يتعارض عقل صريح مع نقل صحيح لأن غاية الاثنين واحدة ، وهى الكشف عن الحق والوصول إليه بأيسر السبل وأوضح البراهين والوسائل التى تؤدى إلى غاية واحدة لا يمكن أن يتعارض أحدها مع الآخر .

٤- وفي النهاية يلجأ إلى إحراج خصومه فيقول لهم أنه يمكن أن يُعارض قولكم بمثله ، ويُردّ على قانونكم بقانون مثله ، فنقول إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل ورفض أدلة العقل ، ثم يقدم الأدلة الكثيرة التى تؤيد رأيه فيما يذهب إليه ، وأحياناً قد يكون الدليل الذى يعارض به رأى خصومه فاسداً وغير برهاني ، لكنه يعارض به أقوال خصومه ليبين لهم أن أدلتهم فاسدة في ذاتها أولاً ، ولا تنهض أمام الأدلة الفاسدة الأخرى ثانياً ، وكيف بها إذا عورضت بأدلة صحيحة ، فكيف بها إذا عورضت بأدلة القرآن وبراهينه .

ثم يستمر المؤلف على نفس المنهج في التحليل والنقد والمعارضة بالمثل ، وقد

يستمر ذلك عشرات الصفحات وأحياناً إلى المئات ليصل في نهاية الحوار إلى التصريح برأيه واضحاً وصريحاً فيقول : والصواب في ذلك ما عليه الكتاب والسنة ومضى عليه سلف الأمة لأن براهين القرآن على مراد الله أكثر صراحة ودلالة على مراد الله وألفاظ القرآن لم يلتبس فيها الحق بالباطل .

فعل ذلك مع الرازى في نقده لمواقفه في أساس التقديس ونهاية العقول ، المحصل ، وفعل مع ابن سينا في الإشارات والرسالة الأصحوية ، ومع الغزالي في التهافت وقانون التأويل ، ومع الآمدى في أبكار الأفكار ، والأحكام ، وغاية المرام ، ومع ابن رشد في فصل المقال ومناهج الأدلة ، حيث سلك هؤلاء جميعاً في خيط واحد جامع بينهم ورد عليهم جميعاً وأبطل دعواهم من أربعة وأربعين وجهاً شملت الكتاب كله الذى يقع في عشرة أجزاء كبيرة تقع في حوالى ( ١٠ × ٤٠٠ = ) أربعة آلاف صحيفة من القطع الكبير .

### أهم القضايا :

من أهم القضايا التى عرض لها الكتاب فعالجها بأسلوب واضح :

١ - قضية العلاقة بين العقل والشرع .

٢ - منهج القرآن في :

أ - الاستدلال على وجود الله .

ب - التوحيد .

ج - إثبات البعث واليوم الآخر

ومافيه .

ومقارنة ذلك كله بمنهج الفلاسفة والمتكلمين والصوفية .

٣ - المنهج الصحيح في الحوار والمناظرة

٤ - نقد المنطق الأرسطي في مبحث التصريف والقياس .

٥ - وجه دلالة الفطرة على وجود الله ، ومعناها ، وأقوال العلماء فيها .

٦ - المعرفة ووسائل إدراكها الظاهرة والباطنة .

جدل غير برهاني في كثير من جوانبه وهذا كان مدخلاً لهجوم أعدائهم عليهم .

٣ - في الرد على الفلاسفة وإبطال مذهبهم في :

أ - إثبات وجود الله .

ب - الصفات والبعث .

د - التوحيد .

هـ - النبوة .

٤ - بيان آراء الرازي خاصة والآمدى ،

والرد عليها بالإبطال والمعارضة ، هذا والكتاب لا غنى عنه لمن أراد أن يدرس مقالات الفرق وعقائدهم وعلم الكلام وقضاياها ، والتعرف على مناهج البحث عند ابن تيمية وقواعد هذا المنهج .

### مجالات الإفادة من الكتاب

١ - يعتبر الكتاب مرجعاً أصيلاً في التعرف على مذاهب المتكلمين والفلاسفة وأقوالهم في الإلهيات وبيان الصحيح منها والفاسد إذا قورن بالقرآن الكريم .

٢ - يوضح الكتاب أن المنهج الذي أخذ به المتكلمون في إثبات قضايا العقيدة منهج

